دراسة نقدية للقانون الداخلي لمعتقل "سان- لو" S^{aint}-Leu

د. عدة بن داهة

جامعة معسكر

مقدمـــة

هذه المداخلة هي محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على الأوضاع الصعبة التي كان يعاني منها المعتقلون داخل مراكز الاعتقال في الجزائر خلال حرب التحرير (1954 – 1962).

وبغض النظر عن حجم صفحاتها فإن هذه الدراسة تستند مباشرة إلى مصادر وثائقية أصيلة، وهذا انطلاقا من اعتبار أن التاريخ يصنع من الوثيقة، منها على الخصوص:

1- رسالة من الحاكم العام للجزائر إلى عامل عمالة وهران، يرخص له فيها بإنشاء مركز اعتقال بـ "سان لو" (بطيوة) يعود تاريخها إلى 1955/11/21، تسع قدرات استيعابه إيواء 255 معتقل، رصدت سلطات الاحتلال أربعة ملايين فرنك لأشغال بنائه (C.A.O.M, Carton //5234/1/).

2- النص الكامل للقانون الداخلي لمعتقل "سان لو" الصادر في 1957/07/20، والمذيل بتوقيع « J.Faust » مدير المعتقل، والمشتمل على تفاصيل وجزئيات عن حياة المعتقلين وانشغالاتهم اليومية بما يتفق وإطار التعليمات الصادرة عن حكومة الاحتلال في 1955/07/07.

3- تسعة وعشرون مراسلة بين إدارة معتقل "سان لو" والسلطة المركزية الوصية عن إدارة وتسيير المعتقلات في الجزائر، تتضمن تقارير نصف شهرية خاصة « Rapport spécial de quinzaine »

4- سبعة عشر تقريرا إداريا تكشف مضامينها عن:

أ – الحالة النفسية للمعتقلين (L'état d'esprit des assignés à résidence de St-leu)

ب- مراسلات بين المعتقلين وعناصر من خارج المعتقل تنتمي إلى تنظيمات نقابية أو وطنية مثل: الإتحاد العام للعمال الجزائريين (U.G.T.A)، والكونفدرالية العامة للعمال (C.G.T)، والعلماء ...

ج- مقالان صحفيان أحدهما لجريدة « Réalités Algériennes » لـ20 جوان 1955، وثانيهما لجريدة « Libération ». ليوم 1956/12/13.

وبالنظر لمدى الحاجة الماسة إلى دراسة هذا الموضوع، وحجم المادة التي تتوفر لدينا حوله وأهميتها، فإني آمل أن يكون هذا العرض متكاملا أو أقرب إلى التكامل مع ما يتفضل به السيدات والسادة المتدخلون.

هدف الإدارة الاستعمارية الفرنسية من إنشاء معتقل "سان- لو":

الملفت للنظر عند قراءة الوثائق الاستعمارية الفرنسية المتعلقة بأهداف فرنسا من إنشاء المعتقلات، قول هذه الأخيرة –فرنسا- أنها لجأت لبنائها خدمة لمصلحة الجزائريين المودعين رهن الاعتقال، وذلك لاعتبارات منها توفير الحماية للمعتقلين وجعلهم في منأى من خطر الخارجين عن القانون وقطاع الطرق، وعليه أطلقت عليها اسم **مراكز الإيواء** أو **مراكز الاستضافة** كما يدل على ذلك التعبير الفرنسي « Centres d'hébergement » وهذا تشويه للحقيقة لأنها لم تكن قط مراكز للاستضافة، بل معتقلات « Centres de détention »، وظلت

فرنسا تروج لفكرة بناء المعتقلات في كونها ستؤدي لا محالة إلى إتاحة الفرصة للمعتقلين بمراجعة أنفسهم والعودة إلى صوابهم.

إلا أن ثمة دلائل تستشفّ من مراجعة نفس الوثائق تدفع إلى الاستنتاج بأن لجوء فرنسا إلى هذا الإجراء يعقّد الأخطار الماثلة على المعتقلين ويضخمها أكثر مما يحد منها، وهو تغطية صريحة ومكشوفة تتناقض تماما ومطلقا مع أسلوب معاملة إدارة المعتقلات للمعتقلين، حيث كان المعتقلون يمنعون من أداء الصلوات نهارا، ويفرض عليهم الجمع بين الفطور والسحور –معا- في شهر رمضان(عزوي.م.ع (د.ت): 65)، وعدم تأدية صلاة التراويح جماعة، ومنعهم من أحجار التيمم لأن لترا من الماء خلال 24 ساعة لا يكفي حاجتهم من الشرب والغسل والتوضؤ، كما ذهبت السخافة بإدارة بعض المعتقلات إلى إذاعة خطبة الجمعة من إذاعة صوت البلاد « La voix du bled » التي كان يقوم بإلقائها أحد رجال الدين المسيحيين(عزوي.م.ع (د.ت): 35).

والمراجعة الموضوعية للتقديرات المالية التي تصرف في مشروع إنجاز معتقل يسع لـ 1500 شخص بمرافقه، وتجهيزاته المشتملة على كل ما يحتاجه المعتقل لراحته - حسب إدعاءات الإدارة الاستعمارية- ، تضع بلا ريب أمام القارئ أكثر من علامة استفهام، خاصة وأنها تتحدث على المغسلات الفردية « Lavabo »، والخاصة بغسل الثياب « Lavoir » والمطعم « Réfectoire » والمستوصف « Infirmerie »، ومخازن المواد الغذائية، ووسائل التبريد، والخزانات المائية، ومآرب السيارات، وسكنات كل من المدير والأخصائي النفساني والمسير المالي ورئيس مصلحة الموظفين الإداريين .(C.A.O.M, Carton 22h/96) ... وتجعله

ينظر إلى المعتقل وكأنه الفردوس يتمنى الدخول إليه، وأكثر من ذلك، فقد ادعت إدارة الاحتلال أن للمعتقل الحق في إمكانية الحصول على مهنة تتفق ورغبته مقابل طلب يتقدم به إلى إدارة المعتقل في شكل استمارة يملؤها..(C.A.O.M, Carton 22h/96)

ولنتساءل الآن هل فرنسا أنشأت المعتقلات فعلا لغرض حماية المعتقلين ؟

للإجابة على هذا السؤال يتحتم علينا التعرض في المقام الأول لأسباب الاعتقال، وفي المقام الثاني للمعالجة العلمية للقانون الداخلي للمعتقل.

أسباب الاعتقال:

في مطلق الحالات تبرز لنا الوثائق الرسمية المتوفرة لدينا أن الاعتقال كان لأحد الأسباب الآتية:

1- القيام بحملة دعائية لصالح الشيوعية.

2- نقل معلومات إلى الثوار. « Renseignement des rebelles »

3- تشكيلا مجموعات إرهابية (في الحقيقة ثورية)، أو الانتساب إليها.

4- عقد أو تنظيم اجتماعات سياسية. « Réunions politiques »

5- النقل السري للثوار. « Transport clandestin des rebelles »

6- اختلاس أو تحويل أموال « Détournement de fonds »

7- ربط صلات مع الثوار « Liaison avec rebelles »

8- تلبية دعوة جبهة التحرير الوطني للإضراب عن العمل.

9- القيام بالدعاية ضد فرنسا « Propagande anti-Française »

10- الانخراط في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني « Adhésion au FLN »

11- المشاركة في الإضرابات الثورية (C.A.O.M, Carton 22h/98). (حيث تم اعتقال الآلاف من الأشخاص في كل المدن الجزائرية أثناء إضراب الثمانية أيام - 01/28 حتى 1957/02/04- وعدم الاستجابة لدعوة السلطات الاستعمارية بالعدول عن الإضراب (C.A.O.M, Carton 22h/98).

12- النشاط السياسي لصالح ملك المغرب محمد الخامس « Activité politique en faveur du sultan M^{ed} V »

مختصر نص القانون الداخلي لمعتقل "سان- لو":

إثر الانتهاء من أشغال بناء معتقل "سان- لو"، فإنه وفقا لتعليمات صادرة من الحاكم العام للجزائر بتاريخ 1955/06/07 أصدرت إدارة المعتقل قانونا داخليا ينظم حياة المعتقلين وسير عملهم اليومي داخل المعتقل. وقد تضمن هذا القانون المسائل التالية:

1- مواقيت الخدمات: كالانتباه من النوم على الساعة السادسة صباحا، وتناول القهوة، والوجبات الغذائية، والمناداة الصباحية والمسائية، وأيام إجراء الفحوص الطبية، واستلام البريد، ومقابلة المدير، وإطفاء الأضواء على الساعة 10.30 مساء، حيث يلزم المعتقلون بالصمت وعدم الاتصال ببعضهم البعض بعد إطفاء الأضواء على أن كل ذوي أو صخب فردي أو جماعي يقتضي عقوبات شديدة (C.A.O.M, Carton 5234/1/)//.

2- معلومات تفصيلية –جزئية- عن المناداة الفجائية اليومية بالنهار أو بالليل (Des contre –appels) للكشف عن الغيابات العمدية.

3- استقبال المدير للمعتقلين فرادى وجماعة على فيما بين الساعة 09 و 10صباحا، شريطة أن يحظى هذا الاستقبال بالموافقة المسبقة من قبل المدير على طلب خطي من المعني يحرر باللغة الفرنسية، يراعى فيه الاختصار والدقة، مع إلزام المستقبلين بالحديث إجباريا إلى المدير باللغة الفرنسية فقط، وإلا فهم مجبرون على اصطحاب مترجم يختارونه بأنفسهم وليس مثارا للعجب والدهشة إقدام إدارة المعتقل على إفساح المجال للتعامل باللغة الفرنسية تحقيقا للغزو الثقافي ودفع المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر.

4- السماح للمعتقلين يفتح تعاونية تجارية – يساهم فيها المعتقلون بأرصدتهم المالية الخاصة- ، تباع فيها المواد الغذائية (Epicerie)، والنسيجية (Mercerie)، يسيرونها بأنفسهم، تخضع لرقابة إدارة المعتقل.

5- وجوب إخضاع زيارة العائلات لذويهم من المعتقلين لترخيص يستلمونه من عامل عمالة وهران (Le préfet du département d'Oran) ، وهو أمر يفضح نوايا الإدارة الاستعمارية في فرض هيمنتها وتأكيد نفوذها.

وبناء على المادة 15 من تعليمات الحاكم العام للجزائر الصادرة في 1955/07/07، فإن جميع المراسلات مهما كانت طبيعتها، ومهما كان مصدرها فإنها تخضع حتما لرقابة المدير.

وللعلم فإن الرسائل تودع مفتوحة، ويشترط فيها كتابة اسم ولقب المرسل « L'expéditeur » في الزاوية اليسرى بأسفل الوجه الأمامي من

غلاف الرسالة، مع إلزامية تحرير الرسائل باللغة الفرنسية؛ أما التي تكتب باللغة العربية فإنها تعطل بحجة أنها لا توجه إلى أصحابها إلا بعد ترجمتها إلى اللغة الفرنسية، وعليه، فإنه تفاديا لتأخير إيداع رسائلهم يضطر المعتقلون إلى تحريرها باللغة الفرنسية؛ وحتى الرسائل الواردة باللغة العربية مسجل هي الأخرى تأخرا قبل توزيعها لنفس السبب.

وبإصرارها على إلزامية المراسلة باللغة الفرنسية وحدها، أو مترجمة إلى الفرنسية تكون إدارة الاحتلال قد فرضت عقوبات صارمة على غير الناطقين باللغة الفرنسية والعاجزين عن التعامل بها.

وإن كان يسوء إدارة الاحتلال في هذا المعتقل إلا تحرر الرسائل إلا باللغة الفرنسية دون سواها، فإنها تكون قد تناست أن هذا الإجراء – المسموم- لا يساعدها مطلقا على تنمية الصداقة وروابط الأخوة بين الجزائريين والفرنسيين.

الطرود البريدية، يجب ألا تحمل شيئا آخر غير الملابس أو المواد الغذائية المحفوظة في علب تحمل بيانات المنتج أو المصانع.

وبخصوص الصحافة المكتوبة، فإن إدارة المعتقل وضعت على الجدران الداخلية لوحات بقوائم الصحف والدوريات الممنوعة، والتي من بينها خمس جرائد مصرية: الأهرام (يومية)، أخبار اليوم،(أسبوعية)، صوت العروبة (نصف شهرية)، صرخة العرب (شهرية)، وجريدة كفاح المغرب السورية، وصحيفتي الأمل واليقظة التونسيتين (J.O.A : 31/10/1955-29/05/1956/ 12/10/1956) لاعتبار أنها كانت تنشر أخبارا عن الثوار الجزائريين وتشيد بانتصاراتهم وتهتم بالوضع العام في الجزائر، وتساهم بشكل مباشر في إثارة وعي المواطنين الجزائريين

وتحرضهم ضد فرنسا، ولم تسمح سوى بالجرائد والصحف ذات النزعة الاستعمارية بالتداول بين المعتقلين، وكل وثيقة مكتوبة، ولا سيما المناشير والمطبوعات ذات الطابع الهدام « Subversif » والدعائي أو المعادي للمصلحة الوطنية، الفرنسية، أو باختصار يشجع على الفوضى على حد زعمهم – فإنه يحتجز في الحين ويوجه إلى مصالح الشرطة الداخلية، ولا يعاد مطلقا إلى المرسل ولا إلى المرسل إليه الذي يتعرض لإجراءات عقابية يبث فيها القانون الفرنسي.

ونص القانون الداخلي على تخصيص منحة قدرها مائتي فرنك على اليوم الواحد للذين ينجزون أعمالا طوعية فعلية لصالح المعتقل على أن يتولى المعتقلون أنفسهم تنظيف المحلات تحت أعين مسؤولي الغرف (Sous la diligence des chefs de chambres) الملزمون بإبلاغ الإدارة عن كل شخص متطفل.

كما سمح هذا القانون للمعتقل بالاستحمام مرة واحدة في الأسبوع، وأوجب عليه الإعلان فورا عن ظهور الحشرات، وألزمه بترك نوافذ وأبواب قاعات الأفرشة والأسرة مفتوحة لغرض التهوية، مع نفض الغبار عن الأغطية من حين لآخر، ورمي الفضلات في الأماكن المخصصة لها.

ونفس القانون الداخلي سمح باستخدام آلات التصوير داخل المعتقل، شريطة أن تلتقط الصور على قاعدة متحدة (Fond unit) (جدار- بناية- مرقد أو الحائط الخارجي للأكواخ...) « Paroi Extérieur de baraque » على أن تسلم الأفلام لإدارة التي تتولى بدورها تحميضها واستخراج الصور بالعدد المطلوب.

أما آخر فقرة من القانون الداخلي فتحمل عنوان "الانضباط والعقوبات"، وفيها تذكير للمعتقلين بما يلي:

1- عدم تجاوز وتخطي الأسلاك الشائكة.

2- اتخاذ موقف سلوكي لائق تجاه الموظفين والإدارة، وكذا الأشخاص الذين يتولون مرافقتهم ومراقبتهم داخل مركز الاعتقال، وإن يقفوا لاستقبالهم إذا كانوا جالسين أو مضطجعين.

3- إشعال المصابيح الخارجية للمراقد والمطبخ، إثر غروب الشمس حتى طلوع النهار، وكذا الشأن بالنسبة للمراحيض والمحلات المشتركة.

4- الاستعداد للمراقبات الفجائية والطارئة من قبل مصالح الحراسة.

5- الامتناع عن التجمعات سواء بالنهار أو بالليل.

وآخر جملة وردت في نص هذا القانون الداخلي جاءت كتالي أي اختراق لهذا القانون بعرض صاحبه لإجراءات العزل والعقاب (C.A.O.M, Carton //5234/1/).

فمثل هذا القانون يعد خير دليل على المنطق الاستعماري الفرنسي في نظرته العجيبة إلى حماية الجزائريين من الخارجين عن القانون.

وقبل أن نتعرض لموقف المتعلقين من القانون الداخلي نتوقف قليلا للكشف عما ورد من تجاوزات في حق بعض المعتقلين بمركز "سان لو" انطلاقا من الوثائق الرسمية لإدارة المعتقل، ومن هذه التجاوزات: اتهام المعتقلين بالانتماء إلى منظمات إرهابية، وحرمانهم من دعوة محامين للدفاع عنهم، كما هو الحال مع الحلاق والكاتب العمومي صديق بومدين ولد بلقاسم الذي أكد للدرك الاستعماري انتماءه للإتحاد

الديمقراطي للبيان الجزائري منذ عام 1947، وأنه ساهم باشتراك مالي شهري قدره 500 فرنك مرتين للثوار الذين كلفوه بالدعاية لصالحهم، وتحت تأثير الاستنطاق والتعذيب كشف عن الخلية الثورية المكلفة بجميع الاشتراكات كانت بالمالح « Rio-Salado » تحت إمرة « Gandarra albert ».(C.A.O.M, Carton //5234/1/)

وكثيرا ما أدت الظروف النفسية الجد سيئة بهذا المعتقل إلى الانتحار حيث تم العثور على المدعو عمارة مصطفى ولد بوعزة (من بلدية الرمشي المختلطة) مشنوقا بإحدى القاعات التابعة للجناح الإداري للمعتقل على الساعة 16.30 من يوم 1957/01/16 (C.A.O.M, Carton //5234/1/) وكذلك على المدعو زيكان العبيدي مذبوحا بالقاعة رقم 02 لنفس المعتقل على الساعة 06.30 من صباح يوم 1959/09/10. (C.A.O.M, Carton //5234/1/)

ومن الشواهد الثابتة على سوء معاملة الإدارة الإستعمارية للمعتقلين بمركز "سان لو" ما أوردته أسبوعية ليبرالي الجزائر « l'Espoir » في أن لجنة الصليب الأحمر أثناء زيارتها لمعتقل "سان- لو" شهدت أحد المعتقلين وقد أصيبت ثلاثة من أصابع يده بالغنغرينا « La gangrène » بسبب تعليقه في الهواء بعد ربط يديه بقيد من حديد صباح كل يوم، وهو الأمر الذي تسبب في قطع يده، كما شاهدوا أثار جروح بارزة في جسم معتقل ثان قد سلطت عليه الكلاب البوليسية، وشهدت هذه اللجنة أيضا على أعمال عنف وإهانة تعرض لها المعتقلون من قبل موفد مكتب عامل عمالة وهران « Pierre LAMBERT ». (LIBERATION : 13-12-1956)

وللعلم فإن هذا الأخير كان من الداعين إلى تشديد الخناق على بعض المعتقلين بـ "سان لو" من أمثال دلال بومدين الذي اتهمه بالعداء لفرنسا لاعتباره عارض الشيخ سعيد الزموشي الذي دعا التجار إلى عدم غلق محلاتهم أيام الجمعة، وهذا ابتداء من يوم 30 مارس 1956، حيث رد دلال على الزموشي قائلا "لا تنسى أن جبهة التحرير الوطني هي التي تتولى مراقبة نشاطنا"

وحتى لا تنمو عملية الإضراب داخل المعتقلات وتتطور، أصدر عامل عمالة وهران في الفاتح من أكتوبر 1956 تعليمات تدعو إدارة المعتقلات في غرب البلاد إلى اتخاذ الحطة وقمع كل محاولة فرار تحظى بدعم وتواطؤ خارجيين أو بدونهما، وفتح نار الأسلحة الأوتوماتيكية على كل شخص يحاول الفرار من المعتقل.

وفي هذا الحال فإن إقدام المعتقلين على الفرار والهروب من المعتقلات تجعلنا لا نشك في بطلان مفعول الشائعة الفرنسية في أن المعتقلات هي ملاجئ تأوي أشخاصا لغرض توفير الحماية لهم.

موقف المعتقلين من القانون الداخلي للمعتقل:

عبر المعتقلون عن احتجاجهم وعدم رضاهم بالقانون الداخلي عن طريق شن إضراب عن الطعام ابتداء من يوم 26 جويلية 1956 ولم، يحظروا كما جرت العادة كل أيام الأحد لمراسيم رفع العلم الفرنسي.

وقد وجهت إدارة معتقل "سان لو" التهمة في حمل المعتقلين على الإضراب مباشرة إلى المدعو عبد الحميد سيد علي - نائب سابق لرئيس بلدية الجزائر العاصمة وعضو المنظمة السرية (O.S)- وقررت عندئذ تحويل 10 معتقلين إلى مركز Bossuet لاعتبارهم محرضين على

الإضراب والشغب بعد عزلهم لمدة 15 يوما (C.A.O.M, Carton //5234/1/)، كما وجهت التهمة في الدعوة إلى الإضراب والتصرف مع المعتقلين بعنف إلى عيسات إيدير، وبن عيسى عطا الله، وبورويبة بوعلام، وجرمان رابح، وعلي يحي مجيد.

أما باقي المعتقلين باستثناء اثنين منهما رفضا الانصياع لأمر الإضراب (C.A.O.M, Carton //5234/1/)، فقد فرضت عليهم العقوبات التالية: الحرمان من البريد ومن التدخين، ومن خدمات المطعم والاستماع إلى البث الإذاعي، وذلك إلى غاية إشعار آخر، إلا أن هذه الإجراءات لم تكن رادعة، بحيث تمادى المعتقلون في شن الإضراب عن الطعام، والامتناع عن تأدية المهام ذات المصلحة العامة، كالخدمة بالمطعم والعيادة، وتنظيف المركز على حد زعم إدارة المعتقل حتى نهاية شهر جويلية، وهو الأمر الذي أفضى بإدارة المعتقل إلى سلوك أسلوب آخر تمثل في الإقدام على شن حملة تفتيش لحقائب وخزانات المعتقلين مكنتها من حجز أزيد من طن من المواد الغذائية كان المعتقلون يحتفظون بها. وبعد هذا الإجراء وزع الخبز عليهم، فأبدى ثلاثة أشخاص رغبتهم في الأكل (C.A.O.M, Carton //5234/1/)، سيقوا إلى مقر الإدارة؛ وبعد الساعة الرابعة مساءا توقف معظم المعتقلين عن الإضراب؛ أما الذين عقدوا العزم على المواصلة، فقد تم تحويلهم إلى معتقل أفلو، وهو الأمر الذي يكشف لنا أن معتقل « Bossuet » وأفلو كانت الحياة بهما أكثر قساوة من مركز "سان- لو" (بطيوة) بحيث كان المعتقلون بمركز أفلو يحرمون من التدفئة في فصل الشتاء البارد.

وكرد فعل على سوء المعاملة لم يقدم المعتقلون الجزائريون والأوربيون على تحية العلم الفرنسي، وحجة هؤلاء الأواخر أن فرنسا دنسته، ولم يتراجعوا في موقفهم لا أمام التهديدات ولا أمام التعذيب المسلط عليهم، بل وأبعد من ذلك فإن المعتقلين الأوربيين دخلوا إلى جانب المناضلين الجزائريين المعتقلين في إضراب 06 جوان 1956، وهو الأمر الذي تسبب في تحويلهم هم الآخرين إلى معتقل أفلو –كإجراء عقابي- ومن بين هؤلاء نذكر على سبيل المثال « Moreau » و « Bernabeu » (C.A.O.M, Carton //5234/1/) اللذان سجل تاريخ الثورة الجزائرية وتاريخ معتقل "سان- لو" اسميهما بحروف من ذهب.

صور من مساندة المعتقلين والتضامن معهم:

نلمس تضامن العمال والنقابيين مع زملائهم الجزائريين ممن وضعوا تحت الإقامة الجبرية في عبارات التعاطف التي تضمنتها الرسائل التي بعثوا بها إلى المعتقلين والتي تمنوا فيها الحرية للجزائر وعودة المعتقلين لأهلهم وذويهم، وذلك لما رأوا في الحرب التي تخوضها فرنسا في الجزائر من إزهاق للأرواح وهدر للأموال المقدرة خسائرها بمليار سنتيم يوميا (C.A.O.M, Carton //5234/1/). وقد تمنى بعض العمال في رسائلهم الموجهة إلى أصدقائهم المعتقلين بمخيم "سان- لو" « Camp de St-leu » عودة السلم إلى الجزائر وانتهاء المأساة التي يعيشها المجتمع الجزائري، وأبدوا فيها استعدادهم ورغبتهم في تقديم يد العون والمساعدة لعائلات المعتقلين، متسائلين عما إذا كان ضمن المعتقلين في "سان- لو" أشخاص ينتمون إلى القطاع العمومي والإستشفائي (C.A.O.M, Carton //5234/1/).

ونجد رسائل أخرى قد أثنى فيها أصحابها على المعتقلين السياسيين بـ "سان- لو" واعتبروهم رجالا شرفاء يتمتعون بمعنويات رفيعة في مقابل إدارة استعمارية تتحلى بالعنف والضعف المعنوي والنفاق، ولا تتوفر لديها رغبة في السلم والمصالحة.

كما نلمس هذه المساندة في:

1- إرسال الطرود والحوالات البريدية إلى المعتقلين، حيث ورد في رسالة موجهة إلى المدعو عمار القول الآتي "فمع أنني أب لأربعة أطفال وأتكفل بإعالة 08 أشخاص إلا أن هذا الوضع لا يمنعني من تقديم يد المساعدة والعون لك. (C.A.O.M, Carton //5234/1/)

2- تولي محامين ومناضلين فرنسيين مساندين للقضية الجزائرية الدفاع عن المعتقلين من أمثال الأستاذ « Mandouze » و « Claude Bourdet » و « François Mauriac » (C.A.O.M, Carton //5234/1/)

3- ورود رسائل من مؤيدين لكفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي تشيد بحركات التحرر في العالم، كتأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس، وتثني على المكافحين ضد الاستعمار والامبريالية في العالم. (C.A.O.M, Carton //5234/1/)

وللعلم فإن معتقل "سان- لو" كان يأوي تحت سقفه مناضلين لأجل القضية الجزائرية من بينهم جزائريون مسلمون وأوربيون، صنعت ظروف الاعتقال منهم مناضلين متآخين ونستدل على ذلك بمصافحة وتقبيل الشيخ سعيد الزموشي –المناضل القديم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- لأوربيين كانوا معه رهن الاعتقال؛ وإقبال هؤلاء الأوربيون

وترقبهم للخطب والإرشادات التي كان يقدمها الشيخ أحمد سحنون للمعتقلين بـ"سان- لو"، حيث كان هو الآخر معتقلا، لهي دليل آخر على تضامن وتعاطف بعض الأوربيين مع القضية الجزائرية.

كما كان هذا المعتقل يأوي أيضا كبار المناضلين في الاتحاد العام للعمال الجزائريين من أمثال عيسات إيدير الذي سبق ذكره - المناضل والعضو السابق على التوالي في المنظمة السرية (O.S)، واللجنة المركزية لحركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية (M.T.L.D)، والنائب لرئيس بلدية الجزائر العاصمة- . ورحماني محمد، وقشرة الحسين، وبورويبة بوعلام، وبن عيسى عطا الله، وجرمان رابح، وعلي يحي مجيد، وحدادي مسعود، وعمراني عبد القادر المنتسبون إلى فرع الاتحاد العام للعمال الجزائريين لعمالة الجزائر العاصمة؛ وحياني أحمد، ومصابيح ميلود، وشينيور سيد العربي ميلود، و « Jean Bernabeu » من عمالة وهران.

وقد نجح عيسات إيدير في استقطاب حوالي 40 معتقلا بـ "سان- لو" وجرهم لحضور الاجتماعات التي كان يعقدها ويتولى رئاستها بداخل المعتقل متحديا بذلك القانون الداخلي للمعتقل، وربط علاقات وثيقة مع بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أمثال إسماعيل إسماعيل، وسحنون أحمد لغرض جر الإصلاحيين البادسيين إلى نصرة وتأييد الاتحاد العام للعمال للجزائريين وإخراجهم من دائرة الحياد.

الإفراج عن المعتقلين:

على الرغم من تعرض الاستعمار الفرنسي لمقاومة شديدة من قبل الشعب الجزائري إلا أن إدارة الاحتلال لم تقطع الأمل في استمالته بإتباع

كل الخطط –الخبيثة- في استدراجه وكسبه، ويتأكد هذا الاستدراج من خلال استغلال المناسبات الدينية، كحلول شهر رمضان، وعيدي الفطر والأضحى، والمولد النبوي الشريف للإفراج عن المعتقلين، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

1- رسائل بعث بها عامل عمالة وهران (Le préfet d'Oran) إلى الوزير المقيم في الجزائر، من بينها رسالة - على سبيل المثال لا الحصر- بتاريخ 1957/03/16 يطلب منه فيها الإفراج عن معتقلين بـ "سان- لو"، وقد ألحقت هذه الرسالة بقائمة تتضمن أسماءهم. (C.A.O.M, Carton 22h/99)

2- إجراءات العفو « Mesures de clémence » بالمناسبات الدينية، والتي كان يراعى فيها عامل السن، « Raison d'âge »، السيرة الحسنة « Bonne conduite »، السوابق، والمرض الخطير، وكثرة الأولاد، والتحول سياسيا عن جبهة التحرير الوطني.

وللعلم فإن المفرج عنهم من أصحاب السلوك الحسن أو القصر، أو المرضى والعجزة من الذين لا يحتمل التحاقهم بالثورة كانوا يلزمون بالتعهد كتابيا بالوفاء لفرنسا، إلا أن هذه المحاولة لفصل الشعب عن الثورة قد أثبتت فشلها، إذ سرعان ما يعود الموقوفون من المفرج عنهم إلى صفوف جبهة وجيش التحريري الوطني وإلى التعاون معها.

وقد كشفت بعض المذكرات الصادرة عن إدارة الاحتلال عن طلبات بالإفراج مصدرها فرنسي وأخرى وطني جزائري منها على سبيل المثال:

1- مذكرة موجهة من نائب عامل عمالة وهران في عين تموشنت بتاريخ 1957/02/27 إلى مدير مركز الاعتقال بـ "سان- لو" يقترح فيها الإفراج عن أربعة أشخاص (سالمي محمد، محمد رمضان، شارف أفغول محمد، نايت إبراهيم بو سعد، خلادي بوعلام ولد أحمد) وضعوا رهن الاعتقال بـ "سان- لو" بسبب غلقهم لمحلاتهم التجارية الكائنة بحمام بوحجر.(C.A.O.M, Carton //5234/1/)

2- برقيةبعث بها زعيم الحركة الوطنية الجزائرية(M.N.A) (ميصالي الحاج)في1957/07/09 يطلب فيها من إدارة معتقل « Arcole » إطلاق سراح أحد أقاربه يدعى نمشاوي محمد. (C.A.O.M,Carton //5234/1/)

خاتمة:

مع أن حيز المعلومات الواردة في هذا العرض لم يغطي كل الجوانب التي يتطلبها الحديث عن موضوع المعتقلات في الجزائر إبان حرب التحرير (1954، 1962). إلا أن ذلك لا يمنعنا من استخلاص بعض الملاحظات والاستنتاجات منها: إخفاق فرنسا في تحقيق هدفها، وفشلها تماما في إحراز المكاسب المرجوة، وعجزها في إحكام قبضتها على الشعب الجزائري، وفصله عن جبهة وجيش التحرير الوطني؛ وأن أحلامها قد تحطمت على صخرة الواقع. وأن المعتقلات هي دليل ضعف أكثر مما هي دليل على القوة القاهرة؛ وعندئذ يحق لنا القول أن المعتقلات كانت ذات أثر إيجابي على إمكانيات تحرير الجزائر.

المصادر والمراجع:

C.A.O.M, G.G.A, Carton //5234/1/. (Création d'un centre d'hébergement à S^{t} –leu).

محمد الطاهر، عزوي. (د. ت)، ذكريات المعتقلين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

C.A.O.M, G.G.A, Carton 22h /96 (Estimation très sommaire du coût d'un centre d'hébergement).

C.A.O.M, G.G.A, Carton 22h /98.

C.A.O.M, G.G.A, Carton //5234/1/. (Règlement intérieur du centre d'hébergement de st-leu, signé J. Faust, St-leu le 20/07/1956.

J.O.A du 31/10/1955 – 29/05/1956 et 12/10/1956.

بن داهة، عدة. إسهامات منطقة معسكر في مجهود ثورة أول نوفمبر 1954، رسالة ماجستير –غير منشورة- قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران 2000- 2001

C.A.O.M, G.G.A, Carton //5234/1/. (Règlement intérieur du centre d'hébergement de st-leu, signé J. Faust, St-leu le 20/07/1956.

« LIBERATION » du 13/12/1956.

(C.A.O.M carton//5234/1/)

C.A.O.M carton//5234/1/

C.A.O.M carton 22H/ 99 (Secret - confidentiel)

C.A.O.M carton//5234/1/